المقدم المتقاعد كيرين كوايتكوسكي

تقاعدت كيرين مؤخراً من الخدمة الفعلية في سلاح الجو الأمريكي برتبة مقدم. وكان آخر منصب تقلدته هو ضابط الشؤون السياسة - العسكرية في دائرة سياسات جنوب الصحراء الكبرى وجنوب شرق آسيا والشرق الأدنى (NESA) في مكتب وزير الدفاع، وكيل وزارة الدفاع لشؤون السياسة. وخلال خدمتها في تلك الدائرة، عملت السيدة كوايتكوسكي في مكتب شمال إفريقية، وهو المكتب التوأم لمكتب الخطط الخاصة، وشاهدت بأم عينها طريقة وضع مسوغات الحرب على العراق داخل البنتاغون. ألّفت كتابين حول القضايا الإفريقية، الأول: مبادرة التعامل مع الأزمات الإفريقية: الماضي والحاضر والمستقبل (معهد الجيش الأمريكي لحفظ السلام، 2000) و كتاب عمليات الاستطلاع الجوي في إفريقية: التحديات والحلول (مطبوعات جامعة سلاح الجو، 2001)، وتدرّس في جامعة ميرلاند، ونظام الجامعة الأمريكية العامة، ومحاضر غير متفرغ في العلوم السياسية في جامعة ماديسون. ولها مقالات دورية تنشر في موقع (LewRockwell.com)، ولها عدد من المقالات حول عملها في وزارة الدفاع نشرت مؤخراً في مجلة أمريكان كونسيرفتف (الأمريكي المحافظ).

جيرمي إيرب: ما الذي شاهدتيه في البنتاغون وأثار اهتمامك لأول مرة؟

عندما انتقلت إلى دائرة جنوب شرق آسيا والشرق الأدنى في مايو من عام 2002، شاهدت بأم عيني ولأول مرة في حياتي عملية صنع السياسات في

obeikandl.com

البنتاغون كما كانت تحدث. كنت أعمل تحت إشراف وإدارة بل لوتي. والشخص الأعلى منه هو بالطبع دوغلاس فايث. وتفتحت عيناي على ما يحدث داخل البنتاغون فيما يخص رسم سياسات الشرق الأوسط والاهتمام المنصب عليها. في حين أنني عندما كنت في القسم المتخصص بشؤون جنوب الصحراء الإفريقية لم نكن نشاهد السيد فايث أبداً، ولم نتلق منه أي تكليف بأي مهمة على الإطلاق. كما لم يكن السيد تشيني يهتم بشؤون منطقة جنوب الصحراء الإفريقية. إلا أن الأمور اختلفت تماماً عندما انتقلت إلى مكتب جنوب شرق آسيا والشرق الأدنى.

لقد كنت في غاية الدهشة مما كنت أشاهد. ولما بحثت فيما كان يحدث وجدت أن جميع الأشخاص العاملين في تلك الدائرة هم من أصحاب توجهات سياسية معينة، وجميعهم تم تعينهم بناء على ميولهم السياسية، وكان تلك الدائرة تضم في جنباتها أكثر تركيز لفئة من المفكرين ذوي الميول السياسية المحددة من أي مكتب آخر في وزارة الدفاع. وبشكل عام تضم الحكومة في العادة تعيينات تغلب عليها الصبغة السياسية الحزبية في بعض المراكز والمناصب، إلا أن التركيز الذي أتحدث عنه هنا يخص الأيديولوجية السياسية للمحافظين الجدد فيما يتعلق بالسياسية الخارجية. لقد كان هؤلاء الأشخاص يعملون في البنتاغون ولديهم أجندة خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، وكانوا جميعاً متمركزين في هذا المكتب بشكل ملحوظ جداً وغير عادي. طبعاً كانوا موجودين في أماكن أخرى، ولكنهم كانوا مسئولين في هذه الدائرة عن وضع سياسة البلاد، ومسئولين عن دعم ما أسميه حملة تضليل إعلامي من أجل إقناع الشعب الأمريكي بضرورة احتلال العراق. كان هذا الوضع قائماً قبل أن ألتحق بهذا القسم. وفي مايو من عام 2002 لم أعر هذا الأمر أي اهتمام، ولكن الأمور كانت تسير على هذا المنوال قبل ذلك بزمن. وقد بات معلوماً الآن أن قضية العراق ظهرت في مساء 11

سبتمبر. فقد كانوا يقولون، "كيف يمكن للبنتاغون ووزير الدفاع استخدام هذه المناسبة لاحتلال العراق؟" ولكنني لم أفطن إلى هذه المسألة إلا بعد أن بدأت أشاهد ذلك بأم عيني.

جيرمي إيرب: لماذا تسمين ما كان يحدث في مكتب شؤون الشرق الأدنى وجنوب شرق آسيا "بالتضليل الإعلامي"؟

كلمة التضليل الإعلامي كلمة قاسية وهي شيء تفعله الحكومات. لم يكن تحوير المعلومات لإكسابها التأييد الشعبي أو لتقديمها بصورة إيجابية بالأمر الغريب عني، إلا أن ما رأيته في مكتب شؤون الشرق الأدنى وجنوب شرق آسيا- وتحديداً مع بل لوتي وفي النهاية بعد إنشاء مكتب الخطط الخاصة تحت إدارة إبرام تشولسكي- ما رأيته هو برنامج مركز جداً في تطوير التضليل الإعلامي. كان الهدف من هذا التضليل هو إقناع الموظفين داخل البنتاغون وغيرهم في وزارة الخارجية والمسئولين في مجلس الأمن القومي والشعب الأمريكي بأن العراق كان متورطاً في أحداث 11 سبتمبر. وطبعاً اتضح لنا الآن، أن هذا الادعاء غير صحيح. إلا أن ذلك الادعاء كان واحداً من الرسائل التي تم تطويرها في ذلك المكتب. ومن الرسائل الإعلامية الأخرى القول بأن العراق كان يشكل تهديداً خطيراً بامتلاكه أسلحة دمار شامل، ليس على جيرانه والمنطقة وحسب، بل وعلى الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن خلال عملي كمحللة سياسية وضابط في الجيش وهو ما فعلته على مدى سنوات عدة وحتى قبل ذلك، كان لدي إطلاع على المعلومات الإستخبارية وخبرة في التعامل معها، حتى عندما كنت في مكتب شؤون جنوب الصحراء الإفريقية كان يرد إلينا معلومات استخبارية عالمية. وفي عام 1991 أثناء المواجهة مع العراق ودخولنا جنوب الأراضي العراقية كان لدينا معلومات استخبارية عن ذلك البلد، واستمر تدفق المعلومات بعد ذلك، إلا أن ما شاهدته لم يكن يمثل

استخداماً للمعلومات الإستخبارية، ولكنه انتقاء مزاجي لأجزاء أو نتف من المعلومات الإستخبارية، أو أخذ النقاط الخاصة التي تدعم القصص والادعاءات الإخبارية التي تستخدم في التضليل الإعلامي.

جيرمي إيرب: هل لك أن توضحي لنا طبيعة مكتب خطط العمليات الخاصة، وأهمية التعليمات المكتوبة التي كان يصدرها وتمثل "نقاط الحديث الرئيسة" فيما يخص القضايا العامة؟

عندما تم نقل مكتب الخطط الخاصة في أغسطس من عام 2002 إلى مكان آخر خارج الدائرة التي كنت أعمل فيها، وتكليف إبرام تشولسكي بإدارته، كان من بين الأشياء التي زودونا بها قائمة تمثل "نقاط الحديث الرئيسة" لكي نوزعها على الضباط وكبار المسئولين المدنيين والعسكريين في البنتاغون وفي الحكومة واستخدامها في أي تقرير نرفعه في الشأن السياسي أو فيما يخص أي معلومات نقدمها للجهات العليا أو للزوار أو الضيوف أو أي شخص آخر. هذه النقاط الرئيسة للحديث كانت مستقاة من معلومات استخبارية. لقد كنت أطلع على المعلومات الإستخبارية المصنفة بالسرية على الأقل، ولم تكن نقاط الحديث الرئيسة التي توزع علينا مصنفة بأكثر من مستوى "سري". وبإمكانك أن تجد في ثناياها بعض أجزاء الحقيقة هنا وهناك. إلا أنها كانت مؤطرة وموضحة ومسبوكة بطريقة مصممة لإقناع أي شخص بالأشياء التي لم تكن حقيقية وخاصة فيما يتعلق بهجمات 11 سبتمبر، بأن القاعدة على ارتباط بصدام حسين – وهي من الأشياء التي أنكرها جورج بوش نفسه بعد عام من نشرها وتظاهر بالدهشة حين سمعها. والحقيقة أنني عملت في المكان الذي كان يركز على إصدار هذه الروايات والقصص وإقناع كل شخص يمكن إقناعه بها، والتأكد من استخدامها في كل مناسبة.

لقد كانت تأتينا أوامر محددة بإدراج هذه النقاط بشكلها الكامل في كل ورقة أو تقرير نصدره إلى الجهات العليا، وأن نعدها لمخاطبة الأشخاص من خارج البنتاغون. ومن الملفت للنظر حقاً أننا في البنتاغون من عسكريين ومدنيين، كنا نتعرض لعملية تضليل إعلامي وتحوير للمعلومات شأننا شأن المواطن الأمريكي العادي. وهذا هو السبب الذي دفعني إلى البحث والتقصي عما كان يجري من حولي. لقد تعلمت من خدمتي التي امتدت لعشرين عاماً في الجيش والحكومة، أن الحكومة بالطبع تقوم بوضع وجه إيجابي على ما تفعل، وأنها تحاول نفي أي تهمة عنها حتى آخر لحظة. وأنا أتفهم ذلك. لقد كان ذلك جزء من عملي، ولكنه كان موجهاً إلى الناس خارج الحكومة: دافعي الضرائب، المستهلكين، الإعلام، الخ. إلا أنه لم يسبق لي أن شاهدت مثل هذا التضليل الإعلامي والمعلومات الذي كان موجهاً داخل البنتاغون. وها قد شاهدنا كيف كان يوجه إلى كل شخص خارج تلك الدائرة الصغيرة من الناشطين السياسيين داخل البنتاغون.

جيرمي إيرب: ما هي طبيعة وأصل هذه الحملة الإعلامية المضللة؟

كنت أرغب بمعرفة المزيد حول ما يجري، ورحت أبحث عن خلفية هؤلاء الأشخاص، قرأت كل ما وقعت عليه يدي عن ريتشارد بيرل. وفي ذلك الوقت كنت أعمل في البنتاغون، وكان بيرل يرأس مجلس سياسة الدفاع؛ وعلى الرغم من تنحيه عن رئاسة المجلس، إلا أنه ما يزال عضواً مؤثراً وفعالاً فيه. وقرأت كل ما استطعت الحصول عليه عن دوغلاس فايث، وكان يعمل قبل مجيئه إلى البنتاغون في مكتب فايث وزيل للمحاماة، وكان عميلهم الأجنبي الوحيد هو دولة إسرائيل. اطلعت على هذه الأمور وتساءلت في نفسي عن هؤلاء الأشخاص وعن أجندتهم. كانت أجندهم معلنة بشكل واسع. فقد شارك بيرل في كتابة تقرير عام 1996 بعنوان انطلاقة نظيفة(*): إستراتيجية جديدة لتأمين المنطقة، وهذه

(*) Clean Break: A New Strategy for Securing the Realm

الوثيقة ما زالت منشورة على الإنترنت. وقام بيرل وآخرون – بعضهم يعمل في البنتاغون وبعضهم تم تعينه في وزارة الخارجية– بوضع تلك الوثيقة لتكون إستراتيجية لحملة نتنياهو الانتخابية عام 1996. وإذا قرأت تلك الوثيقة ستجد أنها تنادي بتغيير النظام في العراق. وكان هذا عام 1996!

قد تكون تلك الإستراتيجية مناسبة لنتنياهو. ولكن ما علاقتنا نحن الأمريكان بذلك؟ والحقيقة أن هذا الأمر ما كان ليعنينا لولا أن الذين أعدوا تلك الإستراتيجيات وطورها وبحثوها وناقشوها ومحصّوها في بيئة أكاديمية– بيئة المنظرين والمفكرين – جرى غرسهم فجأة في البنتاغون. فلم يعودوا في بيئتهم الأكاديمية الفكرية؛ إنهم الآن في بيئة صنع القرار وسلطة التوجيه. ومن الواضح أن ما يفعلونه الآن في البنتاغون يعكس ما كانوا يدعون إليه في السابق عندما كانوا في الحقل الأكاديمي.

والمعلومات المتعلقة بأجندة المحافظين الجدد منشورة أمام الملأ. وتم التخطيط لها قبل أن يصل بوش إلى الحكم. وهذا من جانبه يفسر نجاح هذه الحكومة في توجيه الرأي العام الأمريكي، ونجاحها في وضع المحافظين الجدد في المراكز الحساسة، مراكز صنع القرار داخل البنتاغون، وفي وزارة الخارجية، وإلى حد ما في مجلس الأمن القومي، وبالتأكيد في مكتب نائب الرئيس. لقد كانت هذه الشبكة قائمة أثناء حكم كلينتون، وكان عمل هؤلاء الأشخاص منصباً على إصدار الوثائق والدراسات والتقارير الإستراتيجية.

ومشروع القرن الأمريكي الجديد هو منظمة أخرى تابعة لهم، وصدر عنها عدد كبير من التقارير والدراسات المنشورة. ولهم موقع على الإنترنت يمكن لأي شخص أن يتصفحه. وساهم دك تشيني ورمسفيلد وعدد من مفكري المحافظين الجدد في تطوير هذه المنظمة. وتم تأسيسها كمركز للأبحاث، وقام هذا المركز بتطوير إستراتيجية لزيادة وبسط القوة الأمريكية. ولو ألقينا نظرة على قائمة

الأشخاص الموقعين على الوثائق والتوصيات والتقارير الصادرة عن هذا المركز لوجدنا أسماء تشيني ورمسفيلد وولفوويتس، وبقية هذه العصبة.

ولما جاءوا مع بوش عام 2000، جاءوا كشبكة من الأشخاص الذين عملوا معاً. وهذا ليس بالضرورة شيئاً مستغرباً، فقد كانوا من الحزب الذي خرج من السلطة بفوز الديمقراطيين في عهد كلينتون، وبالطبع كانوا على اتصال ومخالطة في السنوات التي كانوا فيها خارج الحكومة. ومن هذا المنظور لا يوجد شيء غريب أو خطير في ذلك- باستثناء أن الأجندة التي يتبنوها كانت أجندة تقوم على الحرب، وتعتمد على الكذب والتضليل واختلاق القصص وتنميقها لإقناع الشعب الأمريكي بها.

جيرمي إيرب: ما هي العلاقة بين الحملات الإعلامية المضللة التي أنتجت في البنتاغون وبين ما كان يصدر عن البيت الأبيض؟

في الوقت الذي كنت أعاين فيه "نقاط الحديث الرئيسة" التي وزعت علينا من قبل مكتب الخطط الخاصة، كنت أستمع فيه أيضاً لخطابات الرئيس بوش في مدينة سينسيناتي مثلاً، أو خطابات دك تشيني، والشيء الذي لفت انتباهي هو أن ما كنت أسمعه من خلال المذياع في خطابات الرئيس ونائبه هو بعينه ما كنت أقرؤه في الأوراق التي كانت أمامي، كلمة بكلمة. وهذا يعكس سيطرة سياسية كبيرة. وإذا كان لديك القدرة في جعل الجميع يسيرون على خط واحد فهذا أمر جيد، إلا أن ما كانوا يقولونه ويرددونه لم يكن صحيحاً. فقد كانت معلومات ملفقة ومزورة، ومحض أكاذيب، وقصصاً مختلقة. وما تردد على لسان الرئيس ولسان نائبه هو الشيء نفسه الذي كان يقدم إلينا كي نرفعه بدورنا إلى كبار المسئولين المدنيين في الحكومة ليرددوه بدورهم أمام وسائل الإعلام. وهذه المعلومات لم تكن مؤسسة على المعلومات الإستخبارية التي ترد إلينا، بل على قراءة انتقائية مزاجية لهذه المعلومات بعد إعادة صياغتها ووضعها في قالب

ابتكاري لتعزز القضيتين الكبريين اللتين استخدمهما الرئيس ونائبه وسائر المحافظين الجدد في تسويغ الحرب الوقائية على العراق، وهما: أن صدام حسين يمتلك أسلحة دمار شامل وأنه على وشك استخدمها ضد الولايات المتحدة، والثانية أنه يتعاون مع الإرهابيين وربما أنه كان وراء هجمات 11 سبتمبر.

وبالطبع هم ينكرون ذلك الآن، إلا أن تلك الحجج كانت -بكل تأكيد- هي الأسطوانة التي رددوها أمام الشعب الأمريكي، وداخل البنتاغون أمام الموظفين "غير الثقات"، وهذا الوصف يطلق على الموظفين الذين ليس لهم ولاءات حزبية سياسية، ولا تتغير مناصبهم بتغير الحزب الذي يقود الحكومة. فقيادة الأركان المشتركة مليئة بالجنرالات وأمراء البحر والموظفين العسكريين والمدنيين، ولا يوجد فيها تعيينات سياسية بقدر ما هو موجود في مكتب وزير الدفاع، لذلك كانت قيادة الأركان المشتركة من الهيئات غير الموثوق بها، ولا يمكن الاطمئنان إلى أن ما سيصدر عنهم من تصريحات سيوافق ما تريده الحكومة، لذلك جرى إخضاعهم لحملة التضليل الإعلامي معنا.

جيرمي إيرب: برأيك، ما هي الرؤية الأيديولوجية التي تقف وراء هذه الحملة الإعلامية؟ وهل تشعرين أن هذه الرؤية صبغت نظرتهم لما سيتمخض عنه احتلال العراق؟

يوجد لدى المحافظين الجدد أجندة سياسية فيما يتعلق بالسياسة الخارجية. وما برحوا يعكفون على هذه السياسية ويكتبون عنها منذ سنين عدة. وتعكس هذه السياسية نظرتهم للقوة الأمريكية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. ولم يسموها في ذلك الوقت "إمبراطورية"، ولكنهم وضعوا وصفاً لما يتحتم على الولايات المتحدة فعله في المجتمع الدولي. وتم وضع هؤلاء الأشخاص في مواقعهم الحساسة قبل 11 سبتمبر بوقت طويل. ولما وقعت هجمات 11 سبتمبر، تم تفعيل جورج بوش. وفرض الموقف على الولايات المتحدة أن تفعل شيئاً، فكان

مستشاروه من المحافظين الجدد في أماكنهم يوجهونه فيما يفعل. ولهذا السبب جرى طرح مسألة احتلال العراق في 12 سبتمبر أو ربما مساء 11 سبتمبر من عام 2001.

كانوا يسعون إلى استغلال ما حدث في اتخاذ خطوات نحو خلع صدام حسين الذي لم نعد نحبه. بعد أن كنا نحبه في السابق- فقد وضعناه في الحكم، وقدمنا له الدعم على مدى سنين طويلة. ولكننا الآن لا نحبه؛ وشعر المحافظون الجدد أنه قد حان الوقت لإزالته من الحكم. وما إن دخل عام 2002 حتى بدأت الحملات الإعلامية التي تدفع بهذا الاتجاه، وباع بوش ضميره بتعمده الكذب أمام الشعب الأمريكي، وباع دك تشيني ضميره بكذبه على الشعب الأمريكي، وتوجهنا إلى الحرب.

لم يقم القسم الخاص برسم السياسية في البنتاغون بمهمته على الوجه المطلوب فيما يخص التخطيط لما بعد الحرب، لأن القائمين على هذا القسم كانوا يعتبرون الأشخاص الذين أبدوا شكوكاً حول سهولة الحملة العسكرية مثل الجنرال زيني وغيره من أعضاء قيادة الأركان المشتركة، من الأعداء. فكل الذين قالوا بأننا ربما نواجه مشاكل في ظل تنامي المشاعر الوطنية لدى العراقيين، ومشاكل مع الجيش إذا لم نجمعهم كأسرى حرب، وهم طلقاء الآن، ومشاكل مع حزب البعث إذا أعاد ترتيب صفوفه- هذه المقترحات لهذه الاحتمالات التي جاءت نتيجة الخبرة الميدانية لهؤلاء الضباط في أماكن مثل الصومال- كان ينظر إليهم في مرحلة التخطيط للحرب على أنهم أعداء. وكل من يقول بأن هذه الحرب لن تكون نزهة سهلة فإنه يشكل عقبة في خطة الرئيس بوش للحرب الوقائية، لأن هذه الحرب الوقائية لا تقوم على وجود هذا الخطر العظيم المحتمل القادم من الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل وحسب، بل وعلى إمكانية النجاح في هذه الحرب بتكلفة بسيطة. وكان ذلك جزء من الحجة التي سيقت لإقناع الرأي العام الأمريكي بهذه المغامرة.

وأي شخص كان يقول بأن هذه الحرب قد لا تكون قليلة التكلفة فإنه بذلك يناقض الحملة الإعلامية، ولذلك لا يسمع كلامه ولا يعطى متسعاً للحديث. وبالطبع كان الجنرال زيني محقاً، وكل من كان يتفق معه في الرأي كان محقاً، ولذلك بدأ بوش عام 20003 ينظر حوله قائلاً " ما الذي يجري، أعتقد أنكم قلتم لي بأننا سنستقبل بالورود والحلوى". وجورج بوش باعترافه الشخصي شخص قليل القراءة، وقليل السفر إلى الخارج. وليس لديه أي خبرة في السياسة الخارجية؛ واقتصرت خبرته في العمل السياسي على الشؤون المحلية. وأعتقد أن بوش كان مندهشاً بعض الشيء. فهو يفتقر إلى الخبرة العسكرية، ولا يمكنك تعلم الكثير من الخدمة في إذا كنت تتغيب عن وظيفتك في الحرس الوطني في تكساس]أثناء الخدمة العسكرية الإلزامية .[وأظن أنه تفاجأ بعض الشيء من أن مستشاريه – وأغلبهم من المحافظين الجدد الذين كانوا سعداء باحتلال العراق– كانوا على خطأ.

جيرمي إيرب: هل تعتقدين أن قلة عدد المحافظين الجدد الذين خدموا في الجيش له علاقة بما نراه يحدث في العراق اليوم؟

ما من شك أن للخبرة العسكرية دورها، لأن الخدمة في الجيش تكسبك أشياء كثيرة. وصحيح أن الجيش فيه جوانب سلبية كالغلو والتشدد في البيروقراطية على سبيل المثال، إلا أننا في الجيش نمارس ونتدرب تدريباً عملياً ما نقوم به، ونكتب مقالات حول ما سنتدرب عليه. نقوم بالتمارين والتدريبات. وما نفعله يشبه لعبة كرة القدم الأمريكية. كنا نضع الخطة، نتدرب عليها، ثم نتوجه إلى الملعب وفق الخطة الموضوعة. وبعد انتهاء المباراة، نجتمع في غرفة الاستراحة، فإن خسرنا، سيصرخ المدرب في وجوهنا موبخاً، وإذا فشل الظهير الخلفي في التصدي لبعض الهجمات فإنه سيلقى نصيبه هو الآخر من التوبيخ والصراخ. ولا يهم إن كان هو قائد الفريق، ولا يهم إن كان أفضل لاعب في

الفريق؛ إذا أخطأ في اللعب فسوف يوبخ. والجيش هو مثل ممارسة الرياضة من حيث إنه يتطلب من الفرد الذي ينتمي إليه أن يتمتع بالقدرة على تحمل المسؤولية وتقبل اللوم من أجل مصلحة الفريق؛ فأنت تعاين الخطأ الذي ارتكبته وتحاول أن يكون أداؤك أفضل في المرة القادمة.

في الجيش، لدينا دروس نتعلم منها، ونتعرض لما يطلق عليه "الغسيل الساخن"(*)، هناك شيء نكتسبه من ذلك. ولا أحد في الحكومة اليوم من الذين يصنعون هذه القرارات يفهم ذلك؛ لذلك فإن ما يحدث هو أنهم يدمجون أداءهم بشخصيتهم؛ ويصبح القرار جزءاً من شخصيتهم ومن قيمهم كأشخاص. لذلك فهم لا يحبون سماع النقد، ويترددون في قبول حقيقة أنهم ارتكبوا أخطاء. ففي العراق، ارتكب المخططون الأمريكيون أخطاءً فادحة. هل أدى الجيش مهمته على الوجه المطلوب؟ لقد قامت القيادة المركزية للجيش بمهمتها بشكل جيد، بل وأكثر، فقد تجنبوا الوقوع في أخطاء لم تكن في حسبان المخططين الذين قاموا بعملهم على أسوأ وجه في التحضير لما ستكون عليه الحال في اليوم التالي، أو الأسبوع التالي. والجنود يعلمون كيف يؤدون مهمتهم. وقاموا بها بشكل جيد. أما الجانب الذي ظهر فيه الفشل فقد كان في الجزء المتعلق بالأجندة، وهي أجندة باطلة.

ليس للإمبريالية الأمريكية مكان في تقاليدنا. كنا إمبرياليين في السابق، ولكن ذلك كان شذوذاً وانحرافاً في حق هذا البلد. إن السعي نحو الإمبراطورية الأمريكية – وتحديداً الإمبراطورية العسكرية، وهي ما يسعى إليه المحافظون الجدد ويرون فيها مستقبل أمريكا– ليس من التقاليد الأمريكية، وهذا هو الخطأ الأول. ومحاولة فعل شيء لا تريده غالبية الشعب الأمريكي هو الخطأ الثاني. ولو مر هؤلاء بتجربة "الغسيل الساخن" بعد المباراة، لكان أمامهم فرصة مناقشة ذلك بطريقة لا تشوه ولا تنقص من قدرنا كآدميين. ويمكننا أن نقول للأشخاص

(*) كناية عما يلقاه اللاعبون من مواجهة حازمة وقاسية من المدرب وتوبيخه لهم على أخطائهم.

الذين يروجون هذه الأجندة "أنظروا!، لقد ارتكبتم خطأً، ولن نسمح بتكرار ذلك الخطأ في المرة القادمة،" إلا أن هذه المجموعة تفتقر إلى مثل تلك التجربة والخبرة.

إننا نسميهم "صقور الدجاج" لأنه لم يسبق لأي أحد منهم أن خدم في الجيش- لم يرتدوا قط الزي العسكري، وكلهم لديهم أعمالهم الأخرى. وليس من أبنائهم من يخدم في الجيش، إذن، فنحن أمام صقور دجاج مضاعفة، لأن ابنتي جورج بوش لا ترديان الزي العسكري. وإنه لمن المضحك أن تسمعه يقول:"كما تعلمون، فإن ابنتي هما في عمر جيسكا لينش". نعم هذا صحيح، ولكن هناك فوارق كبيرة: جيسكا لينش ارتدت زي الجيش، وفعلت ما طلب منها.

أعتقد أن الأمر لا يقتصر على انعدام الخبرة العسكرية فقط، بل يتعداه إلى نقص الخبرة الرياضية. ورب قائل يقول بأن جورج بوش ودك تشيني ورمسفيلد مارسوا رياضة المصارعة في شبابهم. نعم، ولكن تلك رياضة فردية. وما يفتقرون إليه هو رياضة الفريق. في الرياضة التي تمارس من خلال الفريق ويسمح لك بارتكاب الأخطاء؛ ويسمح لك بتلقي النقد والتوبيخ أمام الفريق والعودة في اليوم التالي مدركاً أنك لاعب جيد ولكنك ارتكبت خطأً فادحاً، وبإمكانك تقبل مثل هذا النقد.

هناك كتاب نشر في بداية التسعينيات، وهو كتاب حول الإدارة للنساء، عنوانه:" كرة قاسية(*) للنساء" ويستخدم الكتاب على نطاق واسع أمثلة مستقاة من أوضاع الفريق الرياضي كوسيلة توضح للنساء العاملات في الإدارة كيفية

(*) هناك نوعان من رياضة البيسبول الأمريكية؛ نوع يستخدم كرة قاسية وهو الأصل في هذه اللعبة، وهناك نوع آخر معدل من اللعبة يستخدم كرة لينة أكبر حجماً تقام على ملعب أصغر حجماً. وقد شاع استخدام التسمية الأولى (hard ball) في عالم الإدارة للدلالة على الحزم وعدم المهادنة وهو المعنى المقصود من عنوان هذا الكتاب كما هو موضح في المتن.

obeikandl.com

تعامل الرجال- أي الرجال العاديين- مع صنع القرارات الإدارية وكيفية متابعتها وتنفيذها. ومن الأشياء التي يشير إليها الكتاب هو أن النساء في السبعينيات والثمانينيات وأوائل التسعينيات، لم يكن أمامهن سوى فرص قليلة لممارسة رياضة الفريق على العكس من حالهن اليوم. لذلك حرمت النساء في تلك الفترة من الميزة التي كانت متوفرة للرجال لافتقارهن إلى الخبرة التي يكتسبها الشخص من اللعب ضمن فريق، وتعرضه للنقد حين يخطئ. وينطبق هذا التشخيص على المحافظين الجدد - ولاحظ قلة العنصر النسائي في صفوفهم- ولذلك تجدهم شديدي الحساسية تجاه أي نقد يوجه إليهم. وما تزال أمامهم- وولفوويتس حتى هذه اللحظة، ودوغلاس فايث، تحديداً، وبالطبع بل لوتي، ودك تشيني، الذي يعاني من حالة نكران شاملة- ما زال أمامهم الاعتراف بأبسط الأخطاء. وريتشارد بيرل هو الآخر لم يسبق له أن لعب ضمن فريق رياضي. هل تعلم ما هو رد بيرل على من يوجه إليه انتقاداً؟ يرد عليه بالقول:" ليس لديك ما يكفي من العلم لتوجه لي النقد. إنك لست بمستوى ذكائي ولذلك فأنت لا تفهم ما نعمل. لقد قمنا بالعمل الصحيح ولكن التنفيذ كان سيئاً". فهو دائماً يقدم الأعذار.

وحقيقة الأمر أن كل خطأ اقترفه يعود إلى ما قبل ظهور مبدأ الحرب الوقائية. وهو ليس بمذهب، وبالتأكيد أن العمل به لن يستمر بعد جورج بوش. لقد كان العمل بهذا المبدأ خطأً فادحاً بكل تأكيد. وليس له أساس من الناحية التاريخية. والخطأ الآخر هو الكذب المتعمد على الشعب الأمريكي طيلة عام 2002، والتصرف وكأننا سنتنصر في هذه الحرب بدون تكاليف، وخلق كل هذه التوقعات الكاذبة حول استقبال العراقيين لنا كأبطال محررين، في حين أننا نشاهد الوضع الآن يتحول من سيء إلى أسوأ بمرور الوقت. وهذه الأمور كلها هي نتيجة أخطاء كل من دك تشيني وجورج بوش ورمسفيلد وولفوويتس

ودوغلاس فايث وبل لوتي، وآبي شولسكي، وريتشارد بيرل، ومجلس سياسة الدفاع – ومع ذلك ليس لدى أي واحد منهم أدنى استعداد للاعتراف بالخطأ. وأعتقد أنهم يخشون من الاعتراف بالخطأ بسبب افتقارهم في تكوينهم الشخصي إلى الخبرة العسكرية والتجربة الرياضية في العمل ضمن فريق، وإلى خشيتهم من أن اعترافهم الشخصي بالخطأ يمثل ضربة قاضية لسمعتهم وذاتهم. وهو أمر مخيف بالنسبة لهم.

جيرمي إيرب: تأسيساً على خبرتك في التعامل مع هؤلاء الناس، هل تعتقدين أن المحافظين الجدد يؤمنون حقاً بما يتحدثون عنه من نشر الديمقراطية في العراق؟ أم أن ذلك هو واجهة تخفي وراءها شيئاً آخر؟

يعمل بول(*) بريمر في العراق من أجل نقل السلطة إلى الفئات العراقية التي نميل إليها. وهو يحاول جاهداً أن يظهر للعالم الخارجي أننا نعمل على نقل السلطة إلى كل العراقيين. وبالتأكيد أننا لا نستطيع فعل ذلك لأنه لو وجدت ديمقراطية حقيقية في العراق فإنها على الأغلب ستعمل على التخلص من قواعدنا العسكرية ومن وجودنا العسكري هناك. وهي السبب وراء خوضنا تلك الحرب. فهناك سبب إستراتيجي عسكري من احتلال العراق. ولدينا أربع قواعد عسكرية كبيرة في العراق بالإضافة إلى أعداد كبيرة أخرى من القواعد الصغيرة، وهذه القواعد المقصود منها أن تبقى قائمة هناك. والحكومة الجديدة التي يعمل بول بريمر على إقامتها في العراق تقوم على المركزية من الأعلى إلى الأسفل، وهو بذلك يكون قد سبق بيروقراطية حزب البعث بأشواط في ترسيخ السيطرة الحكومية المركزية. ولسان حاله يقول:" أنا أصدر الأوامر فيما يجب

(*) هذا الاسم بالعربية هو بولس (عن اليونانية) وأصله من العبرية "شاول"، واخترنا التسمية التي درجت في الصحافة العربية منعاً للالتباس.

فعله، وعليكم التنفيذ، ولا مجال لأي نقاش، ولا محل للسوق الحرة هنا". فهو متناسق مع أجندة حزب البعث. ويسوس العراق على طريقة حكم الأحزاب الشيوعية. وهي طريقة غير فعالة.

إلا أن ما يحاولون فعله هو خلق عراق صديق للولايات المتحدة، وليس عراقاً محرراً - فتحرير العراق هو محض تلفيق. لأن الولايات المتحدة لم نكن في يوم من الأيام ترغب في تحرير شعب العراق. بل أردنا تحرير العراق من صدام حسين لإقامة قواعدنا العسكرية فيه. فالولايات المتحدة كانت تسعى جاهدة لنقل قواعدها العسكرية من المملكة العربية السعودية. ونجحنا في ذلك الآن. ولدينا الآن قواعد في الكويت، ويتمركز الأسطول الخامس في البحرين، ولدينا قاعدة ممتازة في قطر. وباستطاعتنا ضرب سوريا، وضرب إيران، والسيطرة على الوضع في أفغانستان. هذه هي بعض الأشياء التي يمكننا القيام بها الآن.

وأي تصور لعراق مستقل- هذا إن صح استخدام وصف مستقل- ينبغي أن يأخذ بالاعتبار بقاء القواعد العسكرية الأمريكية. وستبقى هذه القواعد في العراق لضمان أمن البلاد بغض النظر عمن يحكم البلاد، ولدينا مصلحة كبيرة في تحديد من يمسك بزمام الأمور فيها. وهذا يتناقض مع الديمقراطية ويتناقض مع التحرير، ولكنها جزء من خطة ريتشارد بيرل الإستراتيجية التي صدرت عام 1996 (لبنيامين نتنياهو)، وهي أيضاً جزء من أجندة مشروع القرن الأمريكي الجديد. ولم يكن لها علاقة في يوم من الأيام بكون صدام حسين حاكما سيئا لأنه استخدم الغاز السام ضد الأكراد عندما كان حليفاً لنا عام 1988، بل كان يتعلق بحاجتنا لإقامة قواعد عسكرية هناك، وحاجتنا إلى حكومة صديقة في بغداد. هذا هو ما كنا نسعى إلى تحقيقه.

ولو نظرت إلى ما كتبه المحافظون الجدد قبل وصول جورج بوش إلى الحكم، فستجد أن هذا كله موجود في خطتهم. ولما وصلوا إلى السلطة مرة أخرى، قاموا

بتنفيذ تلك الخطة دون تغيير مستخدمين المكر والخديعة والتضليل الإعلامي، والتحايل والمناورات السياسية. ولم يفعلوا لك بأمانة وشرف. بل نفذوا برامجهم بأغلى ثمن من المال والأرواح البشرية، ومن جيب هذا البلد، وبأرواح أبنائنا وأرواح العراقيين. وعلى حساب تلويث سمعتنا في المجتمع الدولي. وهناك خسائر أخرى، ولكنهم مع ذلك نجحوا في فعلتهم.

جيرمي إيرب: أين تقع أفغانستان في هذا السيناريو؟

هناك جانب كبير آخر لما تسعى الولايات المتحدة إلى تحقيقه في الشرق الأوسط، وهذا يشمل أفغانستان. وهو جانب يتعلق بالسيطرة على المصادر والثروات الطبيعية في المنطقة، وهذا الهدف يشكل جزءاً من الأجندة الأمريكية منذ عقود وليست بالضرورة شيئاً جديداً. في السابق، كانت الولايات المتحدة تضع الأشخاص الموالين لها في الحكم، كما فعلنا مع صدام حسين عندما وضعناه في السلطة. لقد ساعدنا صدام حسين في الوصول إلى الحكم وكان حليفاً لنا. وكان هذا الأسلوب ناجحاً إلى حد كبير، إلا أن المحافظين الجدد أكثر عدوانية في هذا المجال. والمسألة من وجهة نظرهم لا تتعلق بالسياسة فقط، بل ترتبط بالإستراتيجية، والإستراتيجية والأمن يرتبطان بالموارد الطبيعية، وبخاصة بالنسبة لبلد مستهلك للطاقة كالولايات المتحدة.

والمسألة الأفغانية هي أكثر تعقيداً وقبحاً نوعاً ما. لقد جرى تحميل أسامة بن لادن المسؤولية عن أحداث 11 سبتمبر، وهو يتلقى الدعم من طالبان، مع أن العكس هو الصحيح: فقد كان الدعم الذي يقدمه ابن لادن لطالبان يفوق دعم طالبان له. ولكن مع ذلك كان هناك علاقة توأميه بين مجموعة أسامة بن لادن وبين طالبان التي كانت تحكم أفغانستان. وعقب 11 سبتمبر، كانت الحملة على أفغانستان التي أعلن عنها آنذاك بأنها من أجل تعقب ابن لادن والقبض عليه، تحظى بتأييد شعبي واسع. وكانت تشكل في نظر معظم الناس خطوة حازمة من

قبل جورج بوش. وكانت تحظى بتأييد شعبي واسع حتى من الأشخاص الذين يعارضون الحرب على العراق لأن احتلال أفغانستان كان وراءه بعض المستند المنطقي.

إلا أن الشيء المثير للدهشة حول أفغانستان. ومرة أخرى هذا ليس من الأسرار، والمعلومات متاحة ومتوفرة لمن يوجد لديه حب الإطلاع- هو أن خطة احتلال أفغانستان كانت موضوعة قبل 11 سبتمبر. وعلى الأقل قبل يونيو من عام 2001. كانت خطة احتلال أفغانستان جاهزة للتنفيذ، وكانت الولايات المتحدة تنوي الإطاحة بحكومة طالبان وتنصيب حاكم عميل لها في كابول. والسؤال هو لماذا؟

في السابق، كنا متحالفين مع طالبان من أكثر من جانب؛ وكنا نتعاون معهم ونقدم لهم الدعم عندما أخرجوا السوفييت من أفغانستان(*)، إضافة إلى ذلك تتبنى طالبان نهجاً إسلامياً تقليدياً متشدداً، ولكنهم كانوا ضد الشيوعية. ولهذا السبب وقفنا إلى جانبهم. إلا أنه تبين لنا ضرورة التخلص منهم بعد أن تحققت أهدافنا بإلحاق الهزيمة بالسوفييت. ولأنهم ومنذ عام 1996 أو 1997، عجزوا عن توفير الأمن والحماية لبعض مشاريع مد أنابيب النفط والغاز الطبيعي التي تمر عبر الشمال الشرقي للبلاد إلى باكستان ثم تتفرع من هناك.

وهذا المشروع له شقان؛ حيث كانت باكستان تشكل المنفذ لهذا النفط والغاز الطبيعي إلى العالم الخارجي. ومن جهة أخرى هناك أنبوب يمتد عبر الهند إلى مدينة تضم محطة ضخمة لتوليد الكهرباء شاءت الأقدار أن تعود ملكيتها لشركة إنرون. وجرى تمويل هذا المشروع من قبل البنك الدولي والحكومة الهندية. وهذه

(*) من الواضح أن المتحدثة في هذه المقابلة تقصد الجماعات الإسلامية في أفغانستان بشكل عام وطالبان واحدة منها، لأن طالبان لم تكن موجودة أثناء الغزو السوفييتي، وإنما ظهرت عقب الحرب الأهلية الطاحنة التي دارت رحاها بعد انسحاب السوفييت من البلاد.

obeikandl.com

المحطة لا تعمل الآن لأن الوقود الذي كان من المفروض أن يزودها بطاقة التشغيل لم يصل إليها. وتعثر المشروع بسبب الهواجس الأمنية في أفغانستان. وعلى الرغم من سيطرة طالبان على الحكم على مدى ست سنوات إلا أنهم لم ينجحوا في إحكام قبضتهم على البلاد.

وكانت تواجههم عقبات ومشاكل في توفير الأمن. ونظراً لعجزهم عن إحداث أي تقدم في هذا المجال، انسحبت شركة يونوكال وهي الممول الرئيسي للمشروع، وهي شركة أمريكية تعمل في نشاط النفط والغاز الطبيعي. وتضم حكومة بوش الحالية عدداً كبيراً من الموظفين السابقين في يونوكال. ومن بين الأسماء المعروفة: حامد كرازاي، الرئيس الأفغاني الجديد، وكان يعمل مستشاراً لدى تلك الشركة. ومنهم أيضاً زالماي خليل زاد الذي يشغل منصب السفير الأمريكي في أفغانستان، وكان قبل ذلك يعمل بمنصب المبعوث الأمريكي إلى المنطقة. وأصبح الآن من الشخصيات المهمة في حكومة بوش (وهو عضو مؤسس في مشروع القرن الأمريكي الجديد). إذن، لدينا موظفان سابقان في يونوكال يتمركزان في كابول كحليفين للولايات المتحدة. والأدهى من ذلك أن أول شيء فعله حامد كرازاي عندما تسلم السلطة – أي عندما وضع في الحكم يرافقه طاقم أمريكي من الحرس الشخصي– هو دعوة الدول المشاركة في مشروع أنبوب النفط الذي يمر عبر أفغانستان لاستئناف العمل به.

لم أطلع منذ وقت طويل على خارطة لقواعدنا العسكرية حول العالم. ولكنني شاهدت خارطة لمشروع خط أنابيب النفط المقترح إنشاؤه والذي يمر عبر شمال شرقي أفغانستان. ثم وقعت عيناي على خارطة حديثة لقواعدنا العسكرية قبل شهور، فوجدها مطابقة لخارطة مشروع أنابيب النفط، حيث تمتد القواعد العسكرية وخطوط الإمداد ومراكز القواعد الخاصة على طول المشروع. فقد تم إقامة القواعد العسكرية هناك لحل المشكلة التي عجزت طالبان عن حلها. لم

تستطع طالبان تأمين الأمن والحماية في ذلك الجزء من أفغانستان. وهو الجزء الذي يضم قواعدنا العسكرية هناك. وتتمتع المناطق المحيطة بتلك القواعد العسكرية ببعض الأمن. وبالطبع ما زالت تلك القواعد تتعرض بين الحين والآخر للقصف بقذائف الهاون لأننا هدف طبيعي لها، ولكن بشكل عام هناك محيط آمن حول تلك القواعد.

إذن، فما علاقة أسامة بن لادن بهذا كله؟ ليس لابن لادن شأن في ذلك. ولها كل العلاقة بالخطة الأبعد، وهي في هذه الحالة إستراتيجية ليس بالضرورة أن تنتمي إلى المحافظين الجدد، ولكنها تتفق بشكل كامل مع أجندة المحافظين الجدد. إنها أيديولوجية تقول بأنه إذا كان لديك قوة عسكرية، فأنت بحاجة إلى نشر تلك القوة العسكرية لتحصيل ما تريد، ولأن احتياجات بلدك كبيرة وجسيمة. إنها فكرة التصرف الانفرادي، واستخدام القوة لتحقيق أهدافك.

جيرمي إيرب: هل لك أن تلقي المزيد من الضوء على النزعة الانفرادية في تفكير المحافظين الجدد؟ ما هي أوجه اختلافهم مع النزعة الواقعية في السياسة الخارجية المتمثلة برفضهم قيم، أو على الأقل الفوائد البراغماتية، للقانون الدولي العام؟

المحافظون الجدد لا يولون القانون الدولي أي اعتبار، ولعل هذا يعود إلى افتقارهم إلى الخدمة في الجيش، ولأنهم لا يؤمنون بمبدأ الدولية أصلاً. فهم لا يعترفون بمبدأ المعاملة بالمثل. والمعاملة بالمثل تطبق في المعاملات التجارية في السوق الحرة. وهي أساس السوق الحرة العالمية أو أي سوق حرة. وهي ممارسات محددة في السلوك تجعل من السهل التنبؤ بسلوك الأطراف والتقليل من عنصر المفاجأة وعدم التيقن في العلاقات الدولية، سواء بين الدول أو بين المنظمات أو بين الأفراد. كيف سأعرف أنني إذا أعطيتك خمسة دولارات فإنك ستقدم لي بضاعة بقيمة خمسة دولارات؟ سابقي في دائرة التخمين إذا لم أكن

أعرفك من قبل، ولم يسبق لي أن تعاملت معك من قبل. ولكنني إذا كنت مطمئناً أنني وإياك نلتزم بمعايير محددة تقضي بأنه إذا أعطاك شخص خمسة دولارات فإن واجبك أن تعطيه بضاعة بقيمة خمسة دولارات، فإنني أستطيع التعامل معك. وهذا هو أساس التجارة الحرة، وأساس الدبلوماسية، وأساس العلاقات الدولية.

والمحافظون الجدد يسقطون من حساباتهم مبدأ الدولية، لأنهم فشلوا في فهم السوق. فهم ليسوا علماء اقتصاد. ولا يمكنك أن تجد عالم اقتصاد ينتمي إلى مذهب المحافظين الجدد. ومعظم المحافظين الجدد لا يولون سوى اهتمام ضئيل لهيكل علاقات السوق. ولا يفقهون فيها شيئاً. ولهذا السبب هم يتجاهلون مبدأ الدولية، ويسقطون من حساباتهم مبدأ المعاملة بالمثل.

وعلى صعيد الأمن والسلوك، ولأنه لم يسبق لهم الخدمة في الجيش، فإنهم يسقطون أيضاً فكرة وجود أعراف وقواعد تحكم الحرب. ويسقطون من حسابهم فكرة الحرب العادلة. والحرب العادلة هي أي حرب يقررون هم أنها عادلة. هذا ما يفضلونه. ولأنه لم يسبق لأي واحد منهم أن وقع أسيراً في الحرب، ومن المستبعد أن يقع أي منهم أسيراً في أي حرب قادمة، فإنهم يتجاهلون تماماً اتفاقيات جنيف في معاملة أسرى الحرب. وكما نعلم بأن هذه الاتفاقيات وضعت لمنع تكرار الفظائع التي حدثت لأسرى الحرب خلال الحروب وبخاصة ما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية. فالدولة (أ) ستمتنع عن إساءة معاملة أسرى الدولة (ب) مقابل امتناع الدولة ب عن الإساءة إلى أسرى الدولة (أ). إلا أن هذه الحكومة تجهل حقيقة مبدأ الدولية، وهم لا يرون فيه سوى الجوانب السلبية، ويقولون بأنه يعني السماح للأمم المتحدة بإملاء أوامرها عليك فيما تفعل وما لا تفعل في حين أن هذه الإدعاءات عارية عن الصحة. إنهم لا يفقهون مبدأ المعاملة بالمثل. ولم يسبق لهم أن خدموا في الجيش أو مارسوا أعمالاً

تجارية لكي يكون لديهم حساسية تجاه السوق. وبسبب جهالتهم في هذه الأمور فسوف ندفع ثمناً باهظاً لجهلهم هذا.

جيرمي إيرب: من وجهة نظرك، كيف سيؤثر احتلال العراق على انتخابات الرئاسة لعام 2004؟

على العكس من جورج بوش، ودك تشيني، وريتشارد بيرل، وولفوويتس، ورمسفيلد، يوجد لدى معظم الأمريكان ابن أو ابن عم أو أخ أو زوج أو قريب يخدم في الجيش. وسيعود وهؤلاء الجنود من العراق يوماً ما. وسيبدأون بالتحدث عن خبرتهم في العراق وعما جرى معهم، وسيكون لذلك وقع وتأثير على الناس من حولهم. لذلك سيصعب على فريق بوش تهميش قضايا السياسة الخارجية في الانتخابات القادمة.

ومن مصلحة جورج بوش أن يحرص على عدم تصدر أخبار العراق الصفحات الأولى من الأخبار بقدر المستطاع. فهو يسعى إلى تقديم صورة مشرقة تعكس نجاح الحملة العسكرية في العراق، بما يسمح له بالقول بأننا حررنا الشعب العراقي، وأنجزنا مهمتنا وأعدنا الجنود إلى أهليهم. وهو ما يريد الشعب الأمريكي سماعه. وسيحاول التحرك في هذا الاتجاه هذا العام. وقد بدأ بالفعل بذلك.

وفي الخريف القادم، سيتولى كارل روف قيادة الحملة الانتخابية لجورج بوش. وقد بدأت ملامح الاختلاف والقلق تظهر على فريق السياسة الخارجية من المحافظين الجدد الذين ما زالوا يحتفظون بمراكزهم ومناصبهم في الحكومة، ولديهم أجندة أخرى في المنطقة. وفيها بالتأكيد تغيير النظام في سوريا، والإصلاح الديمقراطي في إيران ولو عن طريق التدخل بالقوة. ولو قرأت كتابات ريتشارد بيرل وغيره من منظمة مشروع القرن الأمريكي الجديد، فستجد أن الأمر لا يتعلق فقط ببغداد، لأن الطريق إلى دمشق تبدأ من بغداد، وهذا

الكلام منشور في كتاباتهم. وهم يعرفون أن ذلك هو ما يفعلونه في المنطقة. والمسألة ليست مسألة تحرير العراق، بل مسألة قلب نظام حكم. ويسعى المحافظون الجدد إلى الاستمرار في تنفيذ هذه الأجندة. وهم الآن يشهدون شيئاً من التباطؤ في العمل، على الأقل إلى أن تنتهي الانتخابات، لأن جورج بوش لا يستطيع تحمل مثل هذه المخاطر أثناء الانتخابات.

جيرمي إيرب: من وجهة نظرك، هل يعتبر جورج بوش من المحافظين التقليديين؟ هل هو من المحافظين الجدد؟ وما هو تصنيفك له ولحكومته بشكل عام ضمن سياق التيار الأمريكي المحافظ؟

معظم الأمريكان، وتحديداً غالبية الجمهوريين الذين يعتبرون أنفسهم جزءاً من الحزب المحافظ، لا يعتقدون أن جورج بوش يؤمن بالقيم المحافظة التقليدية، مع أنه سيلعب تلك الورقة على كل حال. وسيستغل ارتباطاته الدينية، واحترامه للرب، وكل هذه الأمور مهمة لأنها تعد جزءاً من القيم الأمريكية التقليدية. فمؤسسو هذا البلد، في معظمهم كانوا يؤمنون بالإله، وكانوا من الملتزمين بالدين، وكانوا يعتبرون الدين قوة مهمة في تمدن المجتمع. لذلك فإن جورج بوش سيوظف انطباع التدين والنهج المحافظ والبروتستانتية لصالحه لأنها من الأمور التقليدية الأمريكية.

إلا أنه ليس من المحافظين التقليديين، ومعظم المحافظين يعترفون بذلك. والواقع أن بوش أحدث شرخاً في الحزب الجمهوري. ويلاحظ الناس سواء في الكونغرس أو في الأوساط الشعبية إسرافه في الإنفاق الحكومي. ويلاحظون سياساته المحلية. خذ مثلاً القانون الجديد في التعليم والذي اتخذ شعاراً له يقول "لن ندع طفلاً واحداً يتخلف" هذا القانون يعكس مركزية من الأعلى إلى الأسفل، هذه المركزية الفدرالية في التعليم العام تخالف المواقف التقليدية من التعليم. ولذلك ثمة تساؤلات وشكوك بين المحافظين أنفسهم حول جورج بوش

وكونه محافظاً أم لا. وإذا لم يكن من المحافظين فما هو انتماؤه السياسي وكيف وصل إلى هناك؟

وتنزع السياسة الخارجية المحافظة التقليدية نحو المواقف الدفاعية، هذا إن لم نقل نحو المواقف الانعزالية. كما أن التجارة الحرة والانفتاح التجاري هي من التقاليد الأمريكية ذات الجذور المتأصلة والعميقة في التاريخ الأمريكي منذ 400 عام، أي قبل تأسيس الدولة، عندما كانت البلاد خاضعة للاستعمار. إلا أن جورج بوش لديه مشكلة في ذلك. ونظراً لحاجته إلى الأصوات من كافة فئات المجتمع، وشعور كثير من أفراد الشعب الأمريكي بأن وظائفهم مهددة نتيجة الإفراط في سياسات التحرر التجاري، عمد بوش إلى فرض بعض السياسات التي تتناقض مع هذا التوجه. وقد بدأ المحافظون الحقيقيون والمفكرون المحافظون بالإعراب عن شكوكهم حول صدق انتماء جورج بوش إلى النهج المحافظ.

وعلى مدى العقود السابقة، تحول كل من الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي إلى المواقف الوسط داخل الحزب لكسب أصوات القاعدة الانتخابية لكل منهما. ولذلك فإن جورج بوش لن يكون لديه مشكلة إذا استطاع الاطمئنان إلى أن المحافظين لن يصوتوا لصالح مرشح الحزب الديمقراطي. ولكنه سيواجه مشكلة لو قعد المحافظون في بيوتهم ولم يشاركوا بالتصويت. إنه في أشد الحاجة إلى أصواتهم وسيحتاج إلى السير على درب في غاية الدقة خلال الحملة الانتخابية. هناك محافظون كثر في هذا البلد، وينتمي بعضهم إلى الحزب الديمقراطي، وبعضهم بدون انتماءات حزبية ومنهم أعداد كبيرة في الحزب الجمهوري وحزب التحرريين؛ ولدينا قطاع عريض من الأمريكان التقليديين الذين يعتبرون أنفسهم محافظين. ويحتاج بوش إلى حفزهم وتشجيعهم عن طريق أشياء مثل خفض مخصصات البرامج التي يرى المحافظون التقليديون أنها غير مهمة أو أنها تشكل ممارسة غير دستورية من قبل الحكومة

الفدرالية. لذلك فإن أمامه مهمة صعبة لأن ممارساته في الحكم تهدد مركز الوسط داخل الحزب وتحيّد قطاعاً كبيرا من القاعدة الانتخابية.

جيرمي إيرب: بصفتك من المحافظين، ما مدى أهمية هذه الانتخابات الرئاسية بالنسبة لك؟

إنها في غاية الأهمية، مع أنه ليس لدي أدنى شك في أن الديمقراطيين سيستمرون في احتلال العراق لو وصولوا إلى البيت الأبيض. إنني أريد من الجنود العودة إلى وطنهم في الحال؛ هذا هو في نظري الحل الأمثل. ولا أعتقد أنه لو نجح رئيس أمريكي من الحزب الديمقراطي فسيفعل ذلك. إلا أنه لو فاز رئيس ديمقراطي فسوف يعمل على تغيير الحكومة ويتخلص من كثير من هؤلاء المستشارين الذين يعيشون في عالم من الأحلام والأوهام ويجبرون البقية على السير خلفهم. لذلك أعتقد أن الانتخابات القادمة ستكون في غاية الأهمية. ويتردد في أذهان الكثير فكرة "هل سيؤثر صوتي؟" من الصعب الحكم على ذلك، ففي الانتخابات السابقة حصل المرشح الديمقراطي آل غور على غالبية الأصوات الشعبية، وكانت النتيجة متقاربة جداً، كما كانت نتيجة أصوات هيئة الناخبين متقاربة جداً. وشاهدنا جميعاً الدراما التي حدثت في فلوريدا. وأعتقد أن هذا دليل على أهمية كل صوت. وأعتقد أيضاً أن الناس يهتمون بهذا الأمر، وأسمع من كثير من الناس الذين صوتوا لجورج بوش - بعضهم محافظون، وبعضهم الآخر من الاتجاه التحرري- يكتبون ويقولون لي "لقد صوت لجورج بوش عام 2000، ولن أصوت له مرة أخرى". هل يعني ذلك أنهم سيصوتون للمرشح الديمقراطي؟ لا، ما يعنه ذلك أنهم لن يصوتوا لجورج بوش. ولكن بوش خسر صوتاً في هذه الحالة. ولو خسر بوش بضعة أصوات ممن صوتوا له في المرة الأولى فسوف لن يكون رئيساً مرة أخرى.

أعتقد أن الانتخابات القادمة ستكون مثيرة. ويمكنك أن تتحدث عنها من منظور فلسفي "هل لصوتك قيمة؟" وأقول بأن صوتك له قيمة، وعدم صوتك له قيمة. إذا كنت من مؤيدي بوش وتشعر بأن جورج بوش ليس محافظاً تقليدياً لا على الصعيد السياسي ولا على الصعيد المالي، وأنه يمارس سياسة خارجية سيئة، فمن الأولى أن لا تصوت له. هل ينبغي أن تصوت لصالح شخص آخر بديل؟ الأمر يعود إليك. ولكن في جميع الأحوال ينبغي أن لا تقدم صوتك لجورج بوش حين لا يكن جورج بوش يمثلك. وربما أكون مخطئاً في رأيي هذا، ولكني أعتقد أن كارل رووف قلق جداً هذه الأيام بشأن الناخب الأمريكي المحافظ العادي في كلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري، هذا عدا عن الناخب المحافظ المستقل. كارل روف قلق حول إقناع هذه الشريحة من المجتمع بالتوجه إلى صناديق الاقتراع يوم الانتخابات. وستنفق الأموال الطائلة لحفز هؤلاء إلى التوجه إلى صناديق الاقتراع. وأعتقد أنها ستكون معركة صعبة نظراً لوجود كثير من الناس الذين يشعرون بأنهم خدعوا في الانتخابات الماضية. وهناك أعداد كبيرة من المحافظين التقليديين الذين خدعهم جورج بوش وسيحجمون عن إعطائه صوتهم هذه المرة. وهذا من شأنه أن يضع خصمه في البيت الأبيض. وسوف لا يكون ذلك تصويتاً بالثقة للمرشح المقابل.

وما يعنيه هو أن جورج بوش لن يحصل على هذه الأصوات التي اعتمد عليها في المرة السابقة. وأعتقد أن ذلك سيشكل مشكلة عويصة، وأنا متفائلة من أنه لن يعاد انتخابه هذه المرة، ولكنه يملك المال الكثير وسوف ينفقه لحفز المحافظين مثلي للخروج والتصويت لصالحه. وسوف يحاول ذلك.

شيناندوه فالي، فيرجينيا

6 **يناير**، 2004

obeikandl.com